

**رابعاً : أدلة المحرمين من القرآن  
الكريم ومناقشتها**

## الدليل الأول

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان ٦].  
وقالوا بأن «لهو الحديث» هو الغناء والمعازف.

## المناقشة

١- لغةً: كلُّ شيءٍ شغلك عن شيءٍ فقد ألهاك. هذا هو «اللغو» في اللسان العربي.

وعلى ذلك يدخل فيه الحق والباطل، والحلال والحرام.

٢- «اللهو» في الآية لم يأت مطلقاً، بل جاء بالإضافة إلى «الحديث»؛ فخرج بهذا القيد كل لهو لا يوصف بكونه حديثاً، فلا يصح على الإطلاق أن يكون «لهو الحديث» معناه المعازف والآلات الموسيقية، بل الصحيح أن «لهو الحديث» عامٌ فى كل «كلام» يتلهى به كالغناء والقصص والأساطير والأشعار، وغير ذلك مما يتلهى به من «الكلام».

٣- الآية لم تعلق أى حكم على مجرد شراء لهو الحديث، بل علقت الوعيد الشديد والعذاب المهين على شراء لهو الحديث بقصد الإضلال عن سبيل الله والصد عن دينه واتخاذ هزواً.. فأين هذا ممن يشتري لهو الحديث بمعزل عن هذا المقصد؟!

ومن ذا الذى يحرم شراء حكاية أو قصة أو ديوان شعر أو شريط أغنية ليتسلى به بقراءته أو سماعه ويروح بها عن نفسه<sup>(١)</sup>؟!

(١) وبناءً على ذلك، فمنن ذا الذى يحرم الغناء الطيب بكلمات رصينة وبلغعة وصوت

- ٤- من أمحل المحال أن يكون «لهو الحديث» هو الغناء والمعازف - كما يدعى المحرمون- ثم يقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «أما كان معكم من لهو؛ فإن الأنصار يعجبهم اللهو»<sup>(١)</sup>!
- ٥- والخلاصة أن الآية لم تدم «مجرد» اشتراء اللهو، وإنما تدم من يشتريه لـ «يُضِلَّ» عن سبيل الله ودينه ويصدَّ عن شريعته ويسخر بها ويتخذها هزواً.

### الدليل الثاني

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص ٥٥].  
وقالوا بأن الغناء من اللغو فوجب الإعراض عنه.

### المناقشة

- ١- اللغو في أصل اللغة هو: الكلام الذي لا فائدة منه، فلا ينفك إذا سمعته، ولا يضرك عدم سماعه.. فهل يصح بعد هذا البيان أن نقول بأن الغناء، مطلق الغناء، لغو؟!
- وليس كل غناء لغو كما أنه ليس كل كلام لغو، بل إن من الغناء والكلام - من حكايات وقصص وشعر.. إلخ- ما يؤخذ منه الحكمة والأدب والعلم. ولنفترض جدلاً أننا لا نأخذ من الغناء أياً من ذلك، وإنما هو مجرد الاستماع إلى صوت حلو طيب شجي، فهل في ذلك حرمة أو حتى شبه حرمة؟!

عذب؛ ترويحاً عن النفوس وجلاءً للهموم؟!.

(١) سيأتيك قريباً تخريج هذا الحديث الصحيح.

مَنْ نوى بالاستماع إلى الغناء - ولو لم يفده ذلك حكمةً أو علماً -  
ترويح نفسه ليقوى على طاعة الله عز وجل وينشط نفسه، فهو مطيع  
محسن، وفعله هذا من الحق.

ومن لم ينو طاعةً ولا معصيةً ففعله هذا لغو معفو عنه، وذلك كخروج  
الإنسان إلى حديثه متنزها، وقعوده على باب داره متفرجا، وغير ذلك  
من سائر الأفعال - وجميعها يستحيل أن يحرمها عاقل، فكيف بواهب  
العقل-!؟

٢- لغةً، الجَهْلُ - «لا نبتغي الجاهلين»- هو : الطيش والسفه  
والتعدى بغير حق. وهو أيضا عدم المعرفة.

وهذا المفهوم للجهل لا يتناسب مع ما يدعيه المحرمون بأن اللغو في  
الآية هو الكلام الذي لا فائدة منه؛ لأن من يأتي بكلام لا فائدة منه - لا  
ينفع سامعه ولا يضره تركه- يستحيل أن يُوصَفَ لغةً بـ «الجاهل»؛ لأنه  
إنما أتى فعلا مباحا، ومن يفعل المباح لا يوصف بالجهل، فضلا عن أن  
يُطلق عليه أنه «جاهل».

وبناءً على ذلك فإن اللغو في الآية - حتى يستقيم معناها، ويناسب  
آخِرَها أولُها- المقصود به : سفه القول (من سبٍ وشتمٍ واستهزاءٍ ونحو  
ذلك) من الكفار، يتعرضون به للمؤمنين.

٣- فمعنى الآية إذن : وإذا سمع عباد الله المؤمنون الباطل (من سب  
وشتم واستهزاء) من الجاهلين، انصرفوا عن الإتيان بمثله تنزها وترفعا،  
وقالوا: لنا أعمالنا الحقّة (من إيمانٍ بالله وعبادةٍ له) لا نحيد عنها، ولكم  
أعمالكم الباطلة (من كفرٍ بالله وشركٍ به وسبٍ وشتمٍ لنا واستهزاءٍ بنا

وبديننا)، ووزرها عليكم، لا نشارككم في الإتيان بها؛ لأننا لا نريد صحبة الجاهلين الطائشين السفهاء متعدى الحق والصواب إلى الباطل والخطأ. فاللغو في الآية هو لغو الكفار المعرضين عن الحق.. وهم المرادون بالجاهلين؛ ذلك أن لغوهم كان لسبب المؤمنين وإيذائهم بالقول، والتشويش به على سماع المؤمنين للذكر والقرآن.

ويتأكد لك صحة تفسيرى هذا من خلال قراءة تلك للسياق الذى وردت فيه الآية [القصص ٤٦-٥٧]؛ حيث إنه مقابلةً بين «صفات عباد الله وحزبه المؤمنين به» و«صفات الكفار عبدة الأوثان وأتباع حزب الشيطان والخسران».

إن هذه الآية الكريمة من نفس باب قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان ٦٣]. وجميع ذلك يذكرنى بقول الإمام الشافعى:

إذا نطق السفيه فلا تجبه      فخير من إجابته السكوت  
فإن كلمته فرجت عنه      وإن خليته كمدا يموت

### الدليل الثالث

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان ٧٢]. وقالوا بأن «الزور» هو الغناء والموسيقى.

### المنافسة

١- لغةً، الزور هو : كل ما خالف الحق.  
فحصره فى «الغناء» قول مخالف للسان العربى.

٢- فمعنى الآية - التي جاءت في سياق ذكر صفات المؤمنين كما أوضحنا قبل سطور في نهاية مناقشتنا للدليل الثاني - : والذين لا يحضرون كل ما خالف الحق من باطل وبهتان وزور وإثم، وإذا مروا - مصادفةً- باللئام - فى مجال اللغو والزور والكلام الباطل الذى يصادم الحق- فإنهم لا يلتفتون إليهم، بله أن يشاركوا معهم.

### الدليل الرابع

﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَعْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء ٦٤].

وقالوا بأن «صوتك» فى الآية هو الغناء والمعازف.

### المنافشة

١- إن الله تعالى يقول لإبليس : واستفزز من بنى آدم من استطعت - أن تستفزه وتستنهضه للانضمام إليك- بصوتك .. فلم يخص الله من ذلك صوتا دون صوت؛ فصوته هو كل داع يدعو إلى معصية الله ومخالفة شريعته ودينه.

فالصوت هنا (بذاته) ليس موضع الذم، وإنما ذمه واستقباحه لكونه يُستخدم فى الدعوة إلى الشيطان وحزبه.

فالأصوات - ولا ريب فى أن منها الغناء والمعازف- لا ينالها الذم إلا أن تكون وسيلةً شيطانية تُستخدم فى الدعوة إلى معصية الله والفسوق عن أمره ونهجه.

أما إذا استُخدمت في غير ذلك فإن الآية لم تتعرض لذلك على الإطلاق لا باللفظ ولا بالفحوى.

وتأمل معي - فضلا عن ذلك - بقية الآية «وأجلب عليهم بخيلك ورجلك»؛ فههنا لا وجه مطلقا لتعليق الذم بالخيل أو بالأرجل؛ فالذم هنا إنما هو معلقٌ باستخدام الخيل والأرجل في معصية الله. ومثل ذلك يقال في «الأصوات» بلا شك ولا فرق.

٢- فمعنى الآية: واستفزز من بنى آدم من استطعت، واخذعهم بوسوستك وصوتك الشرير - سواءً كان هذا الصوت من جنودك من الأبالسة أمثالك، أو من جنودك من شياطين الإنس - وبكل ما تستطيع من قوة وإغراء ووسائل شيطانية.

فالمقصود هنا أن يقال لإبليس: اشحذ كل أسلحتك لإضلال بنى آدم، واجمع عليهم ما تقدر عليه من كيدك وجندك، ولكن اعلم بأنك لن تستطيع أن تضل المخلصين منهم أبدا.

### الدليل الخامس

﴿أَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا يَكُونُ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾

[النجم ٥٩ - ٦١].

وقالوا بأن «السمود» هو الغناء؛ وهو محرم لأن الله عاب على الكفار الغناء في هذه الآية.

### الناقشة

١- لغةً، «سَمَدٌ»: غفل وسها، أو لها ولعب، أو رفع رأسه ونصب صدره. إذن فالسمود يفيد إما الغفلة أو اللهو أو التكبر.

وهذه الصفات الثلاثة يصح أن يوصف بها الكفار؛ فهم بين غافل عن تدبر القرآن، ولاه عن سماعه، ومتكبر عليه.

أما تخصيص «السمود» بالغناء وقصره عليه، فهذا من أفحش الخطأ؛ فما الغناء إلا «وسيلة» من وسائل الكفار التي يستخدمونها في التشويش على من يسمع القرآن، وفي شغل الناس وصداهم عنه<sup>(١)</sup>؛ يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَسْمَعُ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِیةِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت ٢٦].

٢- لنفترض جدلاً أن المقصود حصراً هو الغناء، فكان ماذا؟!

إن الآية إنما تنعى على الكفار أنهم كانوا إذا دُعوا إلى القرآن أعرضوا عنه بلهوهم ولعبهم؛ فإنهم كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا.. فأين هذا من استماع «المسلم» للغناء والموسيقى ترويحاً عن النفس وترفيهاً وتجديداً للنشاط؟!

٣- إن معنى الآية: يا أيها الكفار، أضمن هذا القرآن تعجبون إنكاراً وتكذيباً، وتضحكون سخرية واستهزاءً، ولا تكون خشيةً من الله وخوفاً من عذابه، وأنتم عن القرآن متكبرون وغافلون ولاهون ولاعبون ومشتغلون بأشياء أخرى (حيث إن الكفار - كما سبق التوضيح - كانوا إذا سمعوا القرآن يُتلى: تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا).

٤- إذا كان الغناء محرماً بنص الآية - كما هو منطق المحرمين - فإنه يجب عليهم أن يحرموا «الضحك» و«عدم البكاء»؛ لأن الآية تشمل

(١) ولذلك قال ابن عباس (رض) في معنى سامدون: «هو الغناء»؛ كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا. وهي بلغة أهل اليمن؛ يقول اليماني إذا تغنى: اسمد». أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥٥) والطبري في تفسيره (٢٧/ ٨٢) بإسنادين أحدهما صحيح والآخر حسن.

عليه «تضحكون ولا تبكون»!

فإن قالوا بأن هذا مخصوص بالضحك على المسلمين، وأن المقصود به هو الاستهزاء بالقرآن والاستخفاف به.

قلتُ : فما كان «ضحكهم» ضحكا «مجردا»، ولا كان «غناؤهم» غناءً «مجردا»، وإنما المقصود بضحكهم وغنائهم هو الاستهزاء بالإسلام والصدُّ عنه وعن القرآن، حيث يضحكون على القرآن ويستهزئون به ويغنون ويلهون ويلعبون عنده<sup>(١)</sup>!

### الدليل السادس

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال ٣٥].

وقالوا بأن الله عاب على المشركين المكاء والتصديّة - وهما الصفير والتصفيق - وذمهم على ذلك، ولو كان جائزا ما ذمهم عليه.. والغناء والموسيقى أشد في أصواتها من الصفير والتصفيق، فهما أولى بالتحريم والذم.

### المنافسة

١- إن الله تعالى لم يعيب أو يذم الصفير والتصفيق لذاتهما، وإنما عاب على المشركين أن جعلوهما صفةً لصلاتهم عند المسجد الحرام. فلقد ذم الله تعالى «تعبدهم» - «صلاتهم» [الأنفال ٣٥] - بالتصفير والتصفيق كما هو واضح في نص الآية.

(١) وإنما كان لضحكهم وغنائهم «قصّد جنائي» بالتعبير القانوني المعاصر !

إن الصلاة خشوع وخضوع وعبادةٌ لله تعالى واستحضر لعظمته وجلاله .  
ولكن كفار قريش ما كانت صلاتهم إلا تصفيراً وتصفيقا .. فكيف يتفق  
هذا «اللهو واللعب» مع مقام «العبادة» لله و«الخشوع» و«الخضوع» له  
سبحانه؟!؟

إن الله سبحانه إنما ينعى عليهم عدم قيامهم بالعبادة الحقة والصلاة  
المطلوبة.

فمعنى الآية : لما كانت صلاتكم من قبيل اللهو واللعب؛ فذوقوا  
العذاب الأليم المعد لكم بسبب كفركم وشرككم وابتداعكم فى العبادة  
وعدم خضوعكم لأمر الله.

٢- إن للتصفيير والتصفيق مقاصد أربعة : التنبيه .. واللهو والإطراب ..  
والتقدير والاستحسان والإعجاب .. والتعبد.

وما ذم الله شيئاً من هذه المقاصد إلا المقصد الأخير - كما شرحنا فى  
النقطة السابقة - .